فكاهات

رواية

الصُدرة المرصَّعة [1]

كان في مدينة لندرا في شارع بلمور دارٌ للعاديّات اقامتها جمعية العلوم والآثار وجمعت فيها من النفائس والعاديّات شيئاً كثيراً لا تقلّ قيمتهُ عن الملايين من الليرات . وعينت الجمعية قيّماً على هذه الآثار رجلاً جليل القدر واسع الخبرة يدعى اندريا فانصرف الى ترتيبها وزاد عليها كل ما وصلت اليهِ يدهُ من النفائس النادرة فلم يكن يسمع بشيء من الاعلاق الكريمة الاّ سعى في احرازهِ واضافهُ الى ما في تلك الدار من الكنوز . وكان اندريا يسكن مع ابنتهِ الوحيدة المسماة اليس منزلاً فسيحاً في نفس دار العاديات ولم يكن يزورهُ في بيتهِ احد سوى فتًى في مقتبل العمر يدعى وِلسُن كان قد علق الفتـاة وعزم على الاقتران بها . وكان اندريا قد تقدم في السن وسئم العمل فرأت الجمعية اقالتهُ من منصبهِ بعد ان كافأتهُ بما يستحق ووكلت عملهُ الى قيم آخر يدعى مرتيمر كان قد تلقى العلوم اللازمة في اشهر مدارس انكلترا وحاز قصب السبق على اقرانهِ . فلما كان يوم استلام مرتيمر الوظيفة وفد مع صديقٍ لهُ يقال لهُ جكسن وكان القيم الاول اندريا وابنتهُ اليس والفتى

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

ولسن في انتظارهِ فاستقبلوهما بالترحاب وسلّم اندريا الى مرتيمر مفـاتيح منزلهِ ثم غرَف دار العـاديات غرفةً غرفةً بما فيها من متروكات المتقدمين وكنوز المتأخرين . وما زالوا يفحصون تلك الغرف الى ان بلغوا غرفةً في وسط الدار قد صُفَّت على محيطها توابيت المومياء وفي وسطها خزائن ملأى بالجواهر النفيسة والمصوغات الذهبية المرصعة فوقف جمهورهم للنظر الى هذه النفائس . وكان بين تلك المصوغات صفيحة من الذهب الاحمر طولها نصف قدم في مثل ذلك عرضاً عليها نقش بديع وقد رُصّع فيها اثنا عشر حجراً من نفيس الجواهر مختلفة الاجناس متناسبة الحجم وقد جعلت في وسط الصفيحة على ثلاثة صفوفٍ في كلٍّ منها اربعة احجار وعلى الاحجار كتابة دقيقة اشبه بالهيروغليف

فلما وقفوا امامها اخذ اندريا الصفيحة من صندوقها فلمعت اشعتهـا وتألق نورها في الغرفة فوضعها على وجه الصندوق ثم اخذ يقصّ عليهم ما علم من امرها فذكر انها قديمة العهد جدًّا وانهُ بعد الفحص المدقق ثبت لهُ انها هي نفس الصدرة التي كان يلبسها رئيس الكهنة عند الامة اليهودية على عهد الملك سليمان عند دخولهِ مرةً في السنة الى قدس الاقداس في الهيكل لمطابقتها المثال الذي اوحاهُ الله الى موسى النبي . وهي من الذهب النقي والحجارة الاثنا عشر المرصعة فيها من نوادر الوجود والكتابة المحفورة عليها هي اسمآء رؤسآء اسباط بني اسرائيل الاثني عشر . فهي اذن من اثمن العاديات الموجودة حالاً والتي تفتخر جمعية العاديات الانكليزية باحرازها

ولما فرغ اندريا من حديثهِ اعاد الصدرة الى محلها واقفل الصندوق فسلم مفتاحهُ الى مرتيمر وعيناهُ شاخصتـان الى الصدرة كانهُ يتأسف على

خروجها من تحت عنايتهِ ومحافظتهِ . ولما تم التسليم انصرف كل واحد في سبيلهِ وبقي مرتيمر وقد اصبحت تلك الذخائر كلها في عهدتهِ

وفي اليوم الثاني تواردت الرسائل على مرتيمر من اصدقائهِ يهنئونهُ بما سُلّم الى امانتهِ من تلك الودائع الثمينة وكان بين تلك الرسائل رقعةٌ من اندريا القيم السابق يهنئ خلفهُ بعباراتٍ ملؤها وداد واحترام . وفي المساء وردت على مرتيمر رسالةٌ اخرى بدون توقيع فيها ما صورتهُ

ايها المحترم مرتيمر

امّا وقد صرت قيماً لدار العاديات فانتبه لنفسك وضاعف الحرس ولا سيما في الليل فان خطراً عظيماً يترصد الجواهر الثمينة التي سلّمت الى عهدتك والسلام

فلما قرأ مرتيمر الرسالة قلقت افكارهُ وتحير في هذا الانذار الذي لم يكن يتوقعهُ والنصيح الذي اخفى اسمهُ وبينما هو كذلك اذا بصديقهِ جكسن قد دخل عليهِ فرآهُ على تلك الحالة ولما اعلمهُ بسبب قلقهِ جلس الى جانبهِ واخذ كلاهما يفحصان الرسالة لعلهما يهتديان الى معرفة كاتبها . وبعد البحث المدقق قال مرتيمر يغلب على ظني ان كاتب هذه الرسالة هو سلفي اندريا فان هذا الخط مع ما فيهِ من التغيير القليل اشبه شيء بكتابتهِ ولكني لا اجزم بذلك لاني لا اعلم سبباً يوجب كتمان اسمهِ عني فلا بد اذن لهذا الامر من غاية سرية ولا بد من الوقوف على جليتها . قال جكسن اليس عندك شيءٌ من كتابة اندريا . قال بلى واحضر لهُ رسالة التهنئة وبعد مقابلتها تحقق الاثنان ان الكاتب واحد . فقال جكسن لمرتيمر انك واندريا

صديقان فما المانع من الذهاب اليهِ وسؤالهِ عن الامر ولا اخالهُ لئيماً ينكر كتابتهُ اذا كان هو الفاعل بل ربما افادك ايضاً اشياء لم يكن من الممكن وقوفك عليها . قال مرتيمر اصبت فهلمّ بنا نذهب اليهِ للحال وانطلقا كلاهما الى بيت اندريا وهما لا يصدّقان ان يصلا اليهِ . فلما بلغا البيت استقبلتهما ابنة اندريا الفتاة فطلبا مقابلة والدها فقالت لهما انهُ غائب . قالا ومتى يرجع قالت ربما لا يرجع قبل عشرة ايام فانهُ ذهب ليزور اختهُ في اسكتلاندا . فزاد اضطراب مرتيمر ورأى منهُ جكسن ذلك فقال لهُ اني اعرف بيت اختهِ فتعالَ نأخذ القطار الآن فنكون عندهُ في الصباح ويهدأ بالك . قال حسنٌ وتوجها لساعتهما فلما بلغا الى موقف القطار وجداهُ قد سافر وكان قد انتصف الليل فافترقا وذهب كلٌّ الى بيتهِ وقلبهُ مشغولٌ بالامر

ولما لاح الفجر في اليوم الثاني هبّ جكسن من نومهِ مذعوراً وقد سمع بابهُ يُطرَق بعنف ففتح واذا بصديقهِ مرتيمر داخلٌ اليهِ وهو بهيئة المرعوب وقال لهُ اسرع بالله يا جكسن وتعالَ معي الى دار العاديات فقد حدث فيها ما يخيفني . وما امهلهُ الاّ ريثما ارتدى بثيابهِ وانطلق الاثنان حتى وقفا امام الصندوق الذي فيهِ الصورة فقال مرتيمر قمت في هذا الصباح ولم اكن قد نمت في الليل لاضطراب افكاري واتيت الى هنا فوجدت الاربعة الاحجار الأُول كما تراها . فنظر جكسن فاذا بالذهب مقشور عن جوانب حجارة الصف الاول مما يدل على ان يداً غريبة قد لعبت بها واجتهدت في نزعها ووقف كلاهما مبهوتين لا يدريان ما يظنان ولا ما يفعلان . ثم استدعى مرتيمر احد مشاهير الصاغة لفحص الاحجار الاربعة فوُجد انها الاحجار

الاصلية بدون ريب فكان ذلك مما زادهم حيرةً ولم يدروا ما كان غرض الفاعل من ذلك الا ان مرتيمر اخذ الاحتياطات اللازمة فنبّه الحرس في الغرف السفلى ومدخل الدار وضاعف عدد الشرط في الشارع ثم طلب الى صديقهِ جكسن ان يبقى عندهُ تلك الليلة ففعل . وفي اليوم الثاني نهضا صباحاً وتوجها توًّا الى غرفة الصدرة فوجدا ان الاربعة الاحجار الثانية قد قُشر ما حولها ايضاً مثلما فُعل بالاربعة الأُول غير انها لم تزل في اماكنها فازدادت حيرة مرتيمر وشعر ان يداً خفية تقصد لهُ كيداً فطار نومهُ وفقد رشدهُ وعدم راحة فكرهِ وبعد استنطاق الخفرآء والحرس لم يقف على اثرٍ للسارق ولم يتوفق الى معرفة اقل ما يسهّل عليهِ اكتشاف الفاعل . وبينا هو هائمٌ في ادوية الافكار قال لهُ جكسن ارى ان اتكالنا على الحرس غير مجدينا نفعاً ولكن بما ان السارق اتى في الليلة الاولى فعالج الصف الاول من الحجارة وفي الليلة الثانية عالج الصف الثاني فلا بد ان يأتي هذه الليلة ايضاً لمعالجة الصف الباقي فالذي اراهُ ان نرصد لهُ بانفسنا في هذه الليلة عسى ان نقف على ما يكشف القناع عن هذا السر الخفي . فقال مرتيمر اصبت ايها الصديق وبما ان في سقف الغرفة كوّةً زجاجية فيمكننا المراقبة منها بدون ان يشعر بنا احد . ولما كانا من الليل صعدا سطح الغرفة وجلسا يراقبان صندوق الصدرة وكانت الغرفة منارة بالنور الكهربائي فلم يخفَ عليهما شيءٌ منها وبقيا منتظرين الى ان انتصف الليل فلم يحدث شيء . وسئم مرتيمر من طول الانتظار غير انهُ ما كاد ينطق بكلمة حتى امسك جكسن بذراعهِ وهمس في اذنهِ ان ينظر الى جهة الجدار فنظر فاذا باحد

توابيت المومياء قد انفتح وانسلّ منهُ شبحٌ اسود فاقترب الى وسط الغرفة ووقف مصغياً ثم تقدم الى الصندوق ففتحهُ بمزيد الانتباه وتناول الصدرة واخرج من جيبهِ آلة وشرع في عملهِ . ولم يتمكن مرتيمر وجكسن من النظر الى ما يصنع فانتظرا والشبح يشتغل بمظم كدّهِ واجتهادهِ حتى انتهى فردّ الصدرة الى مكانها ورجع الى التابوت فاغلقهُ على نفسهِ وساد السكوت كأن لم يحدث شيءٌ . فلما رأى مرتيمر ذلك لم يملك نفسهُ فاشار الى جكسن ونزل الاثنان بتحرُّزٍ عظيمٍ وكان للغرفة بابٌ سرّي فوقفا امامهُ ثم خلعا احذيتهما ودخلا من الباب صامتين فتوجها الى التابوت وفتحاهُ فاذا بالشبح امامهما فامسكاهُ بايدٍ من حديد وحاول ان يتخلص منهما فلم يستطع فاستسلم خاضعاً وتنهد من قلبٍ حزين . وتفرَّسهُ مرتيمر فاذا هو اندريا بعينهِ القيّم السابق فوقف متحيراً ولبث جكسن مبهوتاً . اما اندريا فجثا امامهما وقال ابى الله الا ان ينكشف عملي فأسبلا عليَّ ذيل الستر وخذاني الى محل آخر لاخبركم بحقيقة الامر واترك لكما الحكم عليَّ بما تريان

وكان الغيظ قد اخذ من مرتيمر كل مأخذ غير انهُ تمالك الى يقف على خاتمة الامر فقادا اندريا الى بيت مرتيمر ودخلوا احدى الغرف فجلسوا واخذ اندريا يقص عليهما الخبر فقال

تعلمان ان لي ابنةً اسمها اليس وقد تعلقت بشابٍّ يقال لهُ ولسن ورضيتُ عن حبهما فخطبها الفتى وكان يقضي اكثر اوقاتهِ في بيتي ولما كان مولعاً بالآثار القديمة كان يكثر من التردد الى دار العاديات بدون ادنى معارض ولم اكن اعرف عنهُ شيئاً سوى انهُ فتىً مهذب من اسرةٍ كريمة .

ومرّ الامر على ذلك حتى رأيت من سلوك ولسن وتقلب احوالهِ مانبهني الى الشك فيهِ لاني كنت اراهُ طوراً حسن الاخلاق طلق المحيّا مملوء الجيب وتارةً فظ الطباع منقبض السحنة صفر اليدين . ولما زادت فيَّ الريبة جعلت اتجسس احوال الشاب حتى علمت بعد حين انهُ من المقامرين ثم اتصل بي انهُ من مهرة اللصوص . وكان تعلقهُ باليس وتعلقها بهِ شديداً جدًّا فلم ادرِ ماذا افعل لاخلصها من مخالبهِ بدون ان يؤثر فراقهُ في بنيتها النحيفة فكنت اترقب الفرص الى ان جآء يوماً كعادتهِ ومرَّ من امام غرفتي قاصداً غرفة أليس فناديتهُ فدخل فقلت لهُ اني قد قطعت نصيبك من أليس فلا آذن لك بعد الآن ان تجتمع بها فانها لن تكون زوجةً لك . واعلم يا هذا انني قد وقفت على جميع احوالك وعلمت ما طالما اجتهدت ان تخفيهُ عنا وانا اصفح عما كان منك حتى الساعة بشرط ان تخرج من بيتي الآن ولا ترينا وجهك بعد . ولما رأى ولسن اصراري على ما قلت وكان لا يصبر على فراق أليس اطرق حيناً ثم قال كلاّ اني لن اترك أليس ابداً لكن ائذن لي ان استدعيها واكلمك قليلاً بحضرتها وقبل ان اجيبهُ على ما طلب اسرع فنادى أليس ولما حضرت بدأ بحديثهِ فقال

اني اقرّ امام الله وامامكما اني قضيت ماضي عمري حتى الآن متتبعاً الشرور والرذائل والمقامرة لا يهمني في العالم شيء سوى ملذاتي التي اطلقت لها العنان حتى قُيّض لي ان اتعلق بجمال أليس فاحببتها حباً يزيد عن العبادة غير انهُ لم يكن يمنعني عن اتباع خطتي الاولى . والآن فقد ظهر لي ان والدكِ يا أليس قد اطلع على خفيات حياتي فاستدعاني اليهِ وامرني بالاقلاع

عن حبكِ وقطع آمالي من الحصول عليكِ ولو حكم عليَّ بالموت لكان اسهل عليَّ واخفّ محملاً . ولست اخفي عنكما ان ضميري كثيراً ما نهاني عن افعالي فهو لا يزال حيًّا لكني كنت أصمّ اذنيَّ عن سماعهِ واما الآن وقد بلغ الامر الى ما ارى فانني من هذه الدقيقة تائبٌ نادمٌ اطلب العفو واعد باصلاح سيرتي والاقلاع عن جميع احوالي الماضية . وكان يتكلم بتأثر شديد ودموع فحرت بين ان اصدقهُ او ابقى على اصراري لكنهُ لم يلبث ان أتبع حديثهُ بقولهِ وبرهاناً على ندامتي ورغبتي في تلافي ماضيَّ القبيح فاني سأخبركما بما فعلت مؤخراً واصلح ما افسدت ان كان لا يزال الى الاصلاح سبيل . ان ترددي الى دار العاديات لم يكن عن معرفةٍ مني بها واعجابٍ بنفائسها ولكن تذرعاً الى الحصول على حجارة تلك الصدرة الثمينة التي تحققت اني بحصولي عليها اصير من اغنيآء العالم . فاخذت رسمها بأقيستها والوانها وسائر صفاتها ثم قصدت احد المعامل فصنعوا لي شبهها تماماً ولكن من الزجاج فكنت كلما خلا لي المكان انزع حجراً واضع مكانهُ زجاجةً حتى اكملت نزع الجميع فاصبحت الجواهر الثمينة في قبضة يدي . والآن فاني قد ندمت على ما فعلت ورجعت عنهُ وهذه الحجارة الاصلية اردُّها وانا في موقفي هذا لتعاد الى مكانها وارجو تلقي جريمتي هذه بالمسامحة فاصفحي عني يا أليس وانتظريني ريثما اعود اليكِ بهيئةٍ جديدة . قال ذلك وطرح الحجارة امامنا على المائدة وخرج

وكنت لما اطلعت على قبح فعالهِ خشيت ان يفعل شيئاً بالصدرة وقد كان يزورها يومياً فكتبت اليك ذلك الانذار ولم اذكر اسمي كي لا يُعرَف

الامر فاجرّ على نفسي وعلى ابنتي الاهانة . غير اني لما اعترف بما فعل ورأيت الحجارة الحقيقية المسروقة قد عادت الى يدي احببت ان ارجعها في الحال لئلاّ ينكشف الامر وخفت ان اسلّم السرّ الى غيري فيفتضح فلم اجد سبيلاً الا ان اتولى ردّ الحجارة بنفسي . ولما كنت عالماً بمداخل المكان السرّية جئت متستراً تحت جنح الليل فاتخذت تابوت المومياء مختبأً وشرعت انزع الحجارة الزجاجية وأضع الحقيقية في اماكنها غير اني لما لم اكن ماهراً في هذه الصناعة لم استطع ضبط تركيبها كما ينبغي ولذلك ظهر لكما الامر حتى ادركتماني قبل الفراغ منهُ . هذه حقيقة الحال سردتها عليكما فاما ان تصدّقاني وتكتما امري او تشكواني لألاقي الفضيحة والهوان بعد ان كلل المشيب رأسي

وكان مرتيمر وجكسن يسمعان بمزيد الاستغراب وهما لا يكادان يصدقان حتى استدعيا في اليوم الثاني صائغاً خبيراً فتحققا ان الحجارة الحقيقية قد عادت الى اماكنها واخذا الحجارة الزجاجية وهما يعجبان من شدة مماثلتها لتلك . فعاهدا اندريا على كتمان الامر فشكرهما وذهب الى بيتهِ منشرح الصدر بانهُ قد قضى واجب ذمتهِ وبقي امرهُ مستوراً

اما ولسن فعاد بعد مدة سنواتٍ قضاها في اميركا وقد صلحت حالهُ وتحسنت اخلاقهُ فاقترن بأليس وعاش معها عيشة سلامٍ وسرور يكفّر عن ماضيهِ بصلاح حاضرهِ ولم يزل مرتيمر وجكسن على ما كانا عليهِ من الصداقة والالفة وهما لا يمرّان من امام تلك الصدرة الاّ يقهقهان ضاحكين من التابوت الحيّ

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون جلسوا في صاعة المنزل يعنون اكبر بيتٍ فيهِ او الموضع الذي يُستقبل فيهِ الزائر ولم ترد الصاعة لشيءٍ من المعنيين لكن جآء في المعنى الاول الرَدْهة وهي كما عرّفها في لسان العرب البيت العظيم الذي لا يكون اعظم منهُ ويُستعمل في المعنى الثاني البهو وهو البيت المقدَّم امام البيوت واصلهُ البيت من شعر من بيوت الاعراب ثم نقلتهُ الحضر الى البنآء ودخل في قصور الملوك وزُين بالرياش والذهب وقد ورد ذكرهُ في نفح الطيب في الكلام على المستنصر بالله وهو في قصر مدينة الزهرآء قال وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في البهو الاوسط من الابهآء المذهَّبة . وجآء في شعرٍ لابي بكر الخُوارَزمي من قصيدةٍ يصف فيها دار الصاحب بن عباد

وبهوٍ تباهي الارض منهُ سمآءها ... بأوسع منها آخراً واوائلا

ومن قصيدةٍ للشيخ ابي الحسن صاحب البريد وهو ابن عمة الصاحب

فالربع بالمجد لا بالصحن متسعٌ ... والبهو لا بالحلى بل بالعلى باهى

وللمأموني من قصيدةٍ يصف دار ابي نصر بن ابي زيد عند تقلدهِ الوزارة

بهوها يملأ العيون بهآءً ... صحنها يملأ الصدور انشراحا

فالظاهر من هذا الوصف ان المراد بالبهو هو نفس ما يسمى عندنا اليوم بالصالة واما الردهة فلم نعثر عليها في كلام احد من المولدين لكن لا بأس ان تطلق على مواضع الاحتفال الفسيحة المقامة للخطابة والتمثيل وما اشبه ذلك من المجتمعات العمومية